التكوين الحضاري لتمويل الوقف للمؤسسات التعليمية والثقافية في المجتمعات الإسلامية

عبد الكريم العيوني(*)

تمهيد:

يعد الوقف في الإسلام من أعظم القربات إلى الله تعالى؛ لأن الواقف ينزل طواعية عن أحب شيء إليه، ألا وهو المال؛ ابتغاء البر والثواب؛ قال تعالى ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾(1). وقربة الوقف في الإسلام تدخل في باب الصدقات التي شرعها الإسلام، بل ندب إليها، وحث عليها، انطلاقا من الثواب العظيم الذي ربطه بها، من ذلك حديث رسول الله ﷺ: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له"(2).

والصدقة الجارية هي الوقف، ولا تكون جارية إلا بدوام المحافظة عليها، لذلك يختص التمويل بالوقف بالديمومة والاستمرار؛ وهو ما يعني استمرار المؤسسات التعليمية والثقافية في أداء رسالتها بدون انقطاع؛ لأنها تعتمد في تمويلها على الموارد الثابتة والدائمة(3)، فضلا عن ذلك فإن عنصر التمويل يمثل "الطاقة المحركة لفاعلية التعليم وكفايته"(4).

ويعد التمويل بالوقف "خاصية ملازمة للمجتمع الإسلامي عبر تاريخه الطويل، وكان الطاقة التي دفعت به نحو النماء والتطور، من خلال توفير المعينات المؤدية إلى تكوين مجتمع حضاري، تؤكد ذلك الشواهد النصية

(*) باحث مغربي، في القانون والتربية والوقف.

المتناثرة فى كتب التاريخ والسجلات والوثائق الخاصة بالأوقاف والمخلفات الأثارية التى توضحها نماذج الأبنية التى شيدت لتكون محورا لأعمال الوقف؛ من مثل المساجد والمدارس ومكاتب الأيتام والأسبلة والآبار والعيون"[٥].

ولذلك تعد مؤسسة الأوقاف، المؤسسة الأم التى نشأت فى كنفها الحضارة العربية الإسلامية، لما وفرته من تمويل مستمر وشامل لكل مجالاتها[٦]، فقد كانت أهم "مورد للتعليم الإسلامى على الإطلاق، وأكثر دخلا وإدرارا، وإليها يرجع الفضل فى بقائه واستمراره قرونا طويلة، وفى انتظام الحياة العلمية والدراسية فى جامعات الإسلام وكلياته"[٧]. فالوقف أسهم فى تمويل مؤسسات التعليم والثقافة، سواء داخل المساجد، أو فى المدارس المنفصلة، بدءا من مرحلة الطفولة، حتى المراحل الدراسية العليا المتخصصة[٨]، وبكل ما تحتاج إليه تلك المؤسسات من تجهيز وسكن ومئونة الطلاب وأجرة المدرسين[٩]، كما كان الوقف العمود الفقرى للمؤسسات التعليمية والثقافية الأخرى؛ كالرباطات والزوايا والمكتبات[١٠].

فما تطبيقات الوقف التمويلية فى المؤسسات التعليمية والثقافية فى المجتمعات الإسلامية؟

أولا- الوقف على المؤسسات التعليمية فى المجتمعات الإسلامية:

يشهد التطور التاريخى والحضارى للوقف بأنه أسهم بشكل كبير فى تشييد المؤسسات التعليمية بمختلف مراحلها، كما أسهم فى تحديد أهم مدخلات العملية التعليمية فيها.

١- إسهام الوقف فى تشييد المؤسسات التعليمية:

تولت الأوقاف تشييد المؤسسات التعليمية فى المجتمع الإسلامى، بدءا من المؤسسة الأم فى التعليم (المسجد) وما ألحق بها من كتاتيب قرآنية، ثم المدارس والمعاهد، والزوايا والرباطات. وهذا ما سيتم بيانه فى النقاط الآتية:

أ- الوقف على المساجد والكتاتيب القرآنية:

المساجد:

قامت المساجد على مر التاريخ الإسلامى، بجانب وظيفتها الدينية، بدور كبير فى نشر التعليم والثقافة فى المجتمعات الإسلامية، فقد كان المسلمون ولايزالون يحرصون أبلغ الحرص على بناء المساجد ووقف الأموال عليها، ذلك أن المسجد هو النواة الأولى للمدرسة فى الحضارة العربية الإسلامية[١١]، فلم يكن مكان عبادة فحسب، بل كان مدرسة يتعلم فيها المسلمون القراءة والكتابة والقرآن وعلومه ومختلف فروع العلم الأخرى[١٢]، بل إن المسجد هو الجامعة العلمية التى خرجت كل المفكرين والعباقرة، فى شتى المجالات، الذين قادوا مسيرة التطور الحضارى فى العالم كله[١٣].

وما كان للمسجد أن يؤدى رسالته الحضارية التعليمية والثقافية، إلا بفضل ما وقف عليه من أموال، فمكن العلماء من النهوض برسالتهم فى استقلالية عن هيمنة الدولة والسلطان؛ لأن الأوقاف منحتهم استقلالا ماديا ومعنويا عن السلطة العامة[١٤]؛ وهو الأمر الذى جعلهم سلاطين الأمة، تتوج من بينهم شيوخ الإسلام، وسلاطين العلماء، وسلاطين العارفين، ليقودوا مسيرة حضارتها، وليذودوا عن حياض عقيدتها، وليكونوا بحق ورثة الأنبياء فى الدعوة إلى الله، والتمكين لدينه فى دنيا الناس، ومن ثم كانت تعلو مكانة العلماء وترجح كفتهم على مكانة سلاطين الدولة وأمرائها[١٥].

وقد ارتبط تاريخ التعليم عند المسلمين ارتباطا وثيقا بالمسجد[١٦]، فقد كان اللبنة الأولى للتعليم والتدريس، ولم تكن المساجد إلا منشآت وقفية، فنجد أن أول وقف فى الإسلام هو المسجد[١٧] الذى بناه رسول الله ﷺ عند دخوله المدينة، وهو مسجد قباء الذى بدأ فيه المسلمون تعلم القرآن، وتعلم القراءة والكتابة[١٨].

وقد اقتدى الصحابة والمسلمون برسول الله ﷺ ، فكانوا كلما وطنت

أقدامهم أرضا بنوا فيها مسجدا للعبادة والتعليم، ثم يحبسون عليها الأموال التى تمول حركتها العلمية، وتدعم استقلالها، وبهذا أصبحت مؤسسة الوقف أهم مورد مالى رصد لحياة المسجد[١٩]. ومن أشهر المساجد فى هذا المجال التى قامت بحركة علمية منقطعة النظير[٢٠]، المسجد النبوى الشريف بالمدينة المنورة، ومسجد الكوفة، ومسجد البصرة، ومسجد دمشق (المعروف بالمسجد الأموى ١٩هـ)، وجامع عمر بن العاص بالقاهرة (٢١هـ)، وجامع القيروان (٥١هـ)، وجامع الزيتونة (فى تونس)، وجامع القرويين فى فاس، وجامع قرطبة فى الأندلس، والجامع الأزهر.

ولمزيد من إلقاء الضوء على الدور التعليمى والثقافى للمسجد، يحسن الإشارة - ولو بإيجاز - إلى نموذجين منها؛ هما: جامع القرويين بفاس، وجامع الأزهر بالقاهرة.

أنشأت جامع القرويين بفاس إمرأة مسلمة تسمى فاطمة الفهرية، وتكنى بأم البنين، (سنة ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م). ومنذ الشروع فى البناء ظلت فاطمة الفهرية صائمة، إلى أن تم بناء المسجد وصلت فيه شكرا لله تعالى[٢١] الذى وفقها إلى هذا العمل الجليل.

وأصبح جامع القرويين منذ بنائه مركزا دراسيا يشرف على التعليم فيه قاضى العاصمة، كما يشرف المفتى على القضايا الإحسانية والشرعية. ومنذ ذلك الحين، إلى الآن، والأوقاف هى التى تمول الحياة التعليمية والثقافية فى جامع القرويين الذى تخرج فيه العلماء والفقهاء، فى مختلف التخصصات، ومن مختلف الأمصار، ذلك أنه تحول إلى جامعة[٢٢] يحج إليها الطلاب من المشرق وأفريقيا، بل حتى من أوربا نفسها، فى العصور الوسطى.

ولم يكن لجامع القرويين أن يقوم بهذا الدور التعليمى والحضارى إلا بفضل تمويل الوقف له؛ ذلك أن مداخيله نافست مداخيل ميزانية الدولة نفسها فى العصور

الماضية، بما توفرت عليه من جليل العقار، وفسيح الغابات، حتى اضطرت الدولة أحيانا إلى الالتجاء إلى مستودع أوقافها، خاصة فى ظروف الحرب[٢٣].

أما جامع الأزهر فقد أنشئ فى مصر ليكون مسجدا رسميا للدولة الفاطمية، تدرس فيه العلوم الشرعية، للتفقه فى أمور الدين والدنيا. وقد افتتح للصلاة والدراسة فى ٧ رمضان سنة ٣٦١هـ/ ٩٧٢م، وقد كان أول وقف له، صدر عن الحاكم بأمر الله (ابن العزيز بالله) فى رمضان سنة ٤٠٠هـ، ووقف فيه بعض أملاكه من دور وحوانيت ومخازن، لينفق من ريعها على الجامع الأزهر[٢٤]، ثم توالت عليه الأوقاف بصفة عامة، أو فى حصة للأروقة المختلفة به، أو لتدريس المذاهب الأربعة، أو لتدريس مادة معينة، ولا سيما علوم القرآن والحديث[٢٥]. وهكذا ضمنت الأوقاف استمرار الحياة التعليمية والثقافية للأزهر، على مر التاريخ مؤديا رسالته على أحسن حال[٢٦].

ويتبين مما سبق، أن مؤسسة المسجد تعد من أهم أماكن التعليم فى تاريخ التربية والتعليم عند المسلمين، بل هى الجامعة العلمية التى خرجت كل المفكرين والعباقرة فى المجتمع الإسلامى، وهى أهم منبر للإشعاع الثقافى، ذلك أن المسجد لم يكن "موطن عبادة وذكر فحسب، بل كان المؤسسة الأم للتعلم والتعليم، ومنبرا للتوجيه والإرشاد الدينى والإصلاح الاجتماعى، وإحياء القيم الإسلامية، ومعالجة قضايا المجتمع المصيرية"[٢٧].

الكتاتيب القرآنية:

الكتاتيب مفرد كتاب، وهى أماكن لتعليم الصبيان الكتابة والقراءة واللغة العربية والعلوم الرياضية وحفظ القرآن الكريم[٢٨]، وكانت فى الأغلب تلحق بالمساجد، وتؤسس إلى جانبها، وهى تشبه المدارس الابتدائية فى العصر الحالى. وقد بلغت الكتاتيب التى تم تمويلها بأموال الوقف عددا كبيرا، فقد عد ابن حوقل منها ثلاثمائة كتاب، فى مدينة واحدة من مدن صقلية[٢٩]، وذكر أن

الكتاب الواحد كان يتسع لمئات أو آلاف من الطلاب[٣٠].

وقد لقيت الكتاتيب القرآنية في المغرب تشجيعا ودعما من المولى إسماعيل (ت ١٧٢٧م)، فقد أنشأ كثيرا من الكتاتيب بمكناس، وكان يتوخى من إنشائها أن تكون بقرب الجوامع أو المساجد، حتى يكون هناك ربط بين الكتاب والمسجد بالنسبة إلى الأطفال الذين يتعلمون فيها، فهم ينتقلون من الدراسة في الكتاب إلى الدراسة في المسجد، منذ نعومة أظفارهم، حتى ينشأ أبناء شعبه على حب القرآن والسنة، وعلى توجيههم الوجهة الدينية الصحيحة، ولم يكن المولى إسماعيل يكتفي ببناء الكتاتيب القرآنية فحسب، وإنما تجاوز ذلك إلى الوقف عليها، حتى يستغني مدرسوها عن الغير. ولم تكن الكتاتيب القرآنية في عهده بمكناس وحدها، وإنما كانت بفاس وغيرها من بقية المدن المتحضرة، كما كانت توجد في القرى وفي السهول وفي الجبال المسكونة[٣١].

ب- المدارس والمعاهد:

نشأت المدارس إلى جانب المساجد، وكانت الدراسة فيها تشبه الدراسة الثانوية والعالية في العصر الحاضر[٣٢]. وقد كان للوقف الأثر البالغ في تشييد المدارس والمعاهد، في العالم الإسلامي، من أدناه إلى أقصاه[٣٣]، وكانت تعتمد في تمويلها على موارد الأوقاف؛ لذلك كان التعليم فيها مجانيا ومفتوحا للجميع.

ويشهد التاريخ أن المسلمين تفانوا في إنشاء مدارس علمية في سائر البلدان. ومن أولى هذه المدارس التي كانت تعرف بالمدارس الأهلية: المدرسة المنسوبة إلى أبي حاتم بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ/ ١٠٦١م) الذي سبل كتبه وأوقفها وجمعها في دار رسمها[٣٤]. فقد ذكر صاحب معجم البلدان أن دار أبي حاتم بن حبان هي "اليوم مدرسة لأصحابه، ومسكن للغرباء الذين يقيمون بها من أهل الحديث والمتفقهة، ولهم جرايات يستنفقونها، وفيها خزانة كتبه في يدي وصي، سلمها إليه ليبذلها لمن يريد نسخ شيء منها في الصفة، من غير أن

يخرجه منها، شكر الله له عنايته فى تصنيفها، وأحسن مثوبته على جميل نيته فى أمرها، بفضله ورأفته"[٣٥].

كما روى الرحالة ابن جبير (ت ٦١٤هـ) أنه لما زار بغداد سنة ٥٨٠هـ، شاهد فيها نحو ثلاثين مدرسة، كل واحدة منها فى قصر وبناية كبيرة، أشهرها وأكبرها المدرسة النظامية، ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات محبسة للإنفاق عليها وعلى العلماء والفقهاء والدارسين فيها[٣٦].

كما تعد المدرسة المستنصرية من أشهر المدارس التى كانت تمول بالأوقاف؛ يذكر صاحب البداية والنهاية أنه "فى سنة إحدى وثلاثين وستمائة هجرية، كمل بناء المدرسة المستنصرية ببغداد، ولم يبن مدرسة قبلها مثلها، ووقفت على المذاهب الأربعة، من كل طائفة اثنان وستون فقيها، وأربعة معيدين، ومدرس لكل مذهب، وشيخ حديث، وقارئان، وعشرة مستمعين، وشيخ طب، وعشرة من المسلمين يشتغلون بعلم الطب، ومكتب للأيتام، وقدر للجميع من الخبز واللحم والحلوى والنفقة ما فيه كفاية وافرة كل واحد"[٣٧].

ولم تكن المرأة المسلمة بمنأى عن الحركة الوقفية فى تاريخ الأمة الحضارى، فقد سبقت الإشارة إلى الدور الجليل الذى قامت به فاطمة الفهرية فى بنائها أكبر معلمة دينية وتعليمية وثقافية فى المغرب (جامع القرويين). هذا فى المغرب، أما فى المشرق، فمن نماذج السيدات "العاملات للخير السيدة نفيسة زوجة الإمام المستضىء؛ إذ حفلت بالعلم والعلماء والثقافة، فلم تكن بأقل من غيرها من النساء فى هذا الجانب، حين قامت سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م بتشييد مدرسة أطلق عليها المدرسة الشاطئية بباب الأزج، وفوضت التدريس فيها إلى أبى الفرج بن الجوزى، ووقفت عليها الوقوف الكثيرة"[٣٨].

وفى القاهرة، يتحدث ابن خلدون عن ازدهار الحركة العلمية فيها، وذلك

بفضل استكثار بناء المدارس والوقف عليها؛ يقول: "فكثرت الأوقاف لذلك، وعظمت الغلاة والفوائد، وكثر طالب العلم ومعلمه بكثرة جرايتهم منها، وارتحل إليها الناس فى طلب العلم من العراق والمغرب"[٣٩]؛ إذ إن "المدارس بمصر لا يحيط أحد بحصرها لكثرتها"[٤٠].

وفى المغرب، فإن إنشاء المدارس الوقفية كان مع تأسيس الدولة المرينية عام ٦٧٠هـ، فقد أسس السلطان يعقوب بن عبد الحق المرينى سنة ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م مدرسة الحلفاويين، وتسمى أيضا اليعقوبية. ومما تجدر ملاحظته أن الإمام محمد بن سليمان الجزولى، صاحب (دلائل الخيرات) كان يسكن فى خلوة من هذه المدرسة، تقع بجانب قاعة الصلاة فى يسار الواقف، ويقال: "إنه ألف كتابه دلائل الخيرات وقت إقامته بها"[٤١].

كما بنى السلطان يعقوب كثيرا من "المدارس لطلبة العلم، ووقف عليها الأوقاف، وأجرى عليهم بها المرتبات، كل ذلك ابتغاء ثواب الله تعالى، نفعه الله بقصده"[٤٢].

وقد اقتفى أثره بنوه من بعده "فاستكثروا من بناء المدارس العلمية والزوايا والربط، ووقفوا عليها الأوقاف المغلة، وأجروا على الطلبة بها الجرايات الكافية، فأمسكوا بسبب ذلك من رمق العلم، وأحيوا مراسمه"[٤٣]، فقد بنى "أبو الحسن على بن سعيد المرينى مدرسة الصهريج سنة ٧٢١هـ، كما بنى مدرسة السبعيين التى كان الطلبة يدرسون فيها القراءات السبع، ومدرسة العطارين التى بناها أبو سعيد المرينى سنة ٧٢٣هـ، والمدرسة المصباحية التى بناها أبو الحسن المرينى سنة ٧٤٥هـ، والمدرسة البوعنانية التى بناها أبو عنان المرينى سنة ٧٥٦هـ"[٤٤].

وقد أسس المولى الرشيد (ت ١٦٧٢م) (أحد ملوك الدولة) مدرسة الشراطين بفاس، "جعل فيها طبقات ثلاث، بعضها فوق بعض، تشتمل تلك

الطبقات على اثنين وثلاثين ومائتى بيت، وقبة للصلاة"[٤٥].

كما كانت القبائل المغربية "تتنافس فيما بينها، فى تشييد المدارس العلمية، وعمارتها، والاعتناء بها، بل تتباهى فيما بينها فى إقامة المؤسسات التعليمية، ففى منطقة سوس جنوب المغرب مثلا، قلما تجد قبيلة ليس بها معهد دينى يستقبل حفظة القرآن الكريم والأفقين، من مختلف الأقاليم المغربية، بما توفره تلك المدارس من مسكن مجانى، إضافة إلى المأكل والمشرب، والمصدر التمويلى لذلك هو الأعشار، أو الأحباس، أو المساعدات السنوية، من أبناء القبيلة لضمان استمرار المؤسسة"[٤٦].

ويتبين من النماذج السابقة، الدور الكبير الذى قام به الوقف فى تشييد المدارس والمعاهد فى العالم الإسلامى بأسره على مر التاريخ.

ج- الخوانق والزوايا والرباطات:

الخوانق مفردها "خانقاه، وهو رباط الصوفية ومتعبدهم، وهى [كلمة] فارسية، أصلها (خانه كاه)، هذا محل ذكرها، واشتهر بالنسبة إليها أبو العباس الخانقاهى من أهل سرخس، وهو زاهد ورع"[٤٧]. وقد "قال المقريزى: إنه حدثت فى الإسلام فى حدود الأربعمائة، وجعلت لمتخلى الصوفيّة فيها لعبادَةِ اللهِ تعالى"[٤٨]، وكانت للخوانق أوقاف تدر عليها المال الكثير، "فمن ريع الأوقاف فى العصر المملوكى كان يصرف على الصوفية المنقطعين للعبادة أو طلب العلم طبقا لشروط الواقف"[٤٩].

أما **الزوايا** فمفردها زاوية، وهى مأخوذة من الفعل زوى الشىء يزويه زيا؛ أى جمعه وقبضه، وفى الحديث: "زويت لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها"[٥٠]، وانزوت الجلدة فى النار؛ اجتمعت، ومنه انزوى ينزوى: بمعنى اتخذ ركنا من أركان المسجد للاعتكاف والتعبد[٥١]. وتعد الزوايا من معاهد التعليم[٥٢]، فى تاريخ التربية عند المسلمين، وتطلق الزاوية فى المغرب على

مسجد خاص بطائفة صوفية[٥٣]. وقد لعبت دورا مهما فى الدفاع عن الثغور. "ومن أشهر الزوايا التى قامت بهذا الدور فى المغرب الزاوية الناصرية، وكان مقرها تامكرت، جنوب المغرب، أسسها محمد بن ناصر المتوفى سنة ١٠٨٥هـ، وكان فقيها عالما، وقد اشتهر بالطريقة الصوفية على مذهب الشاذلى"[٥٤].

أما **الرباط**، فهو مكان ملازمة ثغر العدو، كالمرابطة، كما فى الصحاح، ورباط الخيل مرابطتها، وربما سمى الخيل رباطا أو الرباط. وقد أطلق هذا الاسم على نوع من الثكنات العسكرية[٥٥] التى كانت تبنى على الحدود الإسلامية وقرب الثغور، حيث تتم فيها التربية العسكرية، ويقيم فيها المرابطون للدفاع عن الأمة الإسلامية، وكانت هى الأخرى تمول بالوقف؛ إذ "يجد فيها المجاهدون كل ما يحتاجون إليه من سلاح وذخيرة وطعام وشراب، وكان لها أثر فى صد غزوات الروم أيام العباسيين، وصد غزوات الغربيين أيام الحروب الصليبية عن بلاد الشام ومصر"[٥٦].

د- البيمارستان (المؤسسات الطبية):

البيمارستان هو المستشفى فى العصر الحاضر، والدارس لتاريخ الحضارة العربية الإسلامية ولأثر الوقف فيها، يلاحظ أنه كان للوقف "أكبر الإسهامات فى إنشاء البيمارستانات وتشغيلها، كما كان للوقف دور مهم وفريد فى تمويل المستشفيات وتجهيزها، إضافة إلى مبانيها، وكذلك رواتب الأطباء ومساعديهم، والمختبرات، وكذلك تمويل كليات الطب وكليات الصيدلة والمتدربين فيها"[٥٧].

فقد كانت المستشفيات "معاهد طبية؛ إذ يوجد بكل مستشفى إيوان كبير (قاعة كبيرة) للمحاضرات، يجلس فيها كبير الأطباء ومعه الأطباء والطلاب، وبجانبهم الآلات والكتب، فيقعد التلاميذ بين يدى معلمهم بعد أن يتفقدوا

المرضى وينتهوا من علاجهم، ثم تجرى المباحث الطبية والمناقشات بين الأستاذ وتلاميذه، والقراءة فى الكتب الطبية"[٥٨].

ومن شواهد الأوقاف الطبية فى القرن الرابع الهجرى ما ذكره الطبيب المؤرخ ثابت بن سنان بن ثابت[٥٩] الذى قال: إنه "كانت النفقة عن البيمارستان الذى لبدر المعتضدى بالمحرم من ارتفاع وقف سجاح أم المتوكل على الله، وكان الوقف فى يد أبى الصقر وهب بن محمد الكلوذانى، وكان قسط من ارتفاع هذا الوقف يصرف إلى بنى هاشم، وقسط منه إلى نفقة البيمارستان"[٦٠].

وفى المغرب تجدر الإشارة إلى البيمارستان الذى بناه المنصور يعقوب ابن يوسف بن عبد المؤمن بمراكش، فقد "أجرى فيه مياها كثيرة، وغرس فيه من جميع الأشجار، وزخرفه، وأمر له فى كل يوم ثلاثين دينارا للأدوية، وكان يعود المرضى فيه فى كل جمعة"[٦١].

خلاصة ما سبق: يمكن القول إن الأوقاف كان لها أثر كبير فى تأسيس المؤسسات التعليمية فى المجتمع الإسلامى وتشييدها؛ وهو مما أدى إلى التقدم الحضارى الذى عرفه المسلمون فى القرون التى مضت. وقد تنوعت تلك المؤسسات إلى دينية تعليمية؛ كالمساجد، أو مؤسسات تعليمية محض؛ كالكتاتيب القرآنية، والمدارس والمعاهد والجامعات، أو مؤسسات تعليمية صحية؛ كبناء المستشفيات، أو اجتماعية بصفة عامة؛ كبناء الملاجئ ودور الأيتام وحفر الآبار وإقامة السقايات فى المدن وعلى طرق المسافرين[٦٢]، على النحو الذى جعل الأمة الإسلامية مضرب المثل فى التقدم والرقى الحضارى، بفضل تمويل الوقف لتلك المؤسسات.

٢- إسهام الوقف فى تحديد مدخلات العملية التعليمية:

إن الوقف على التعليم لم يقتصر أثره على كونه المورد المالى لإنشاء المؤسسة التعليمية، بل تعدى الأمر إلى تأثيره فى كل جوانب العملية التعليمية،

بما تضمنته وثيقة الوقف، من قواعد للمؤسسة التعليمية، وشروط المدرسين والدارسين بها.

أ- إسهام الوقف فى اختيار مدير المؤسسة والمدرسين بها:

لقد كان للوقف أثر فى تحديد مدير المؤسسة التعليمية الوقفية؛ ذلك أن إدارتها كانت بيد الناظر، فهو المسئول من جهة عن حفظ الأموال الموقوفة ورعايتها وصرف ريعها لمستحقيها، ومن جهة أخرى هو المشرف على العملية التربوية بالمؤسسة التعليمية الوقفية، فالواقف كان يحرص حرصا شديدا على اختيار الناظر الكفء القوى الأمين الذى يتولى إدارة الأموال الموقوفة، ويصرف ريعها على طلبة العلم والمدرسين، فكان يختار الناظر العالم المشهود له بالكفاءة العلمية والصلاح، فضلا عن القدرة المهنية التى تجعله يؤدى رسالته التربوية على أحسن حال، لينعكس ذلك على المؤسسة التعليمية الوقفية[٦٣].

أما بالنسبة إلى المدرسين فى المؤسسة الوقفية، فكانوا يتمتعون بالكفاءة العلمية والمهنية والأخلاق الحميدة، فقد كان لا يقوم بالتدريس فى الكتاتيب القرآنية، إلا "من اشتهر بالخصال الحميدة والأخلاق النبيلة والاستقامة والعفاف، حتى يلقن الأطفال الآداب الجمة والأخلاق الفاضلة"[٦٤]؛ لأن الأطفال فى بداية عمرهم يتأدبون بالقدوة الحسنة، ومن الناحية المهنية، كان المعلم فى الكتاتيب القرآنية حافظا للقرآن الكريم، وعالما بالحديث النبوى الشريف، وعلوم اللغة العربية، ونحوها من العلوم المساندة التى تكون الثقافة الابتدائية عند الطلاب[٦٥].

ب- إسهام الوقف فى تحديد منهج المرحلة التعليمية:

كانت الأوقاف توجه إلى جميع المراحل التعليمية، وتتولى تحديد مناهجها، فالكتاتيب القرآنية كان الواقف عليها يحدد منهجها فى حفظ القرآن الكريم؛ لقوة ذاكرة الأطفال فى المراحل الأولى من العمر، إضافة إلى تعلم

قواعد اللغة العربية، وقصص الأنبياء، وأحاديث الرسول ﷺ ، وغالبا ما كان يستمد المحتوى التعليمي من وثائق الأوقاف المرتبطة بهذه الكتاتيب التي يشترط الواقف فيها تعليم الصبيان العلوم السابقة.

وكذلك الشأن بالنسبة إلى المدارس التي امتد أثر الوقف فيها إلى التوجيه التربوي؛ إذ كان يتدخل في توجيه العملية التعليمية، وفي "تعيين العلوم والفنون التي يجب أن تدرس، وفي المقاييس والمؤهلات العلمية التي ينبغي أن يتوفر عليها العالم الذي يتولى التدريس، وتعد الوثائق الوقفية التي تنص على شروط الواقفين المتعلقة بهذا التوجيه التربوي، جداول تربوية، تنظم شئون التعليم، وتضع الأسس والشروط التي يجب أن يقوم عليها"[٦٦].

وإذا كان للوقف تأثير في تدريس مادة معينة أو منهج دراسي في خلال مرحلة تعليمية معينة؛ فإن ذلك لم يكن انتصارا لمذهب على آخر، بل كانت الأوقاف تشجع على الحرية المذهبية والفقهية. ويؤيد هذا ما ذكره صاحب البداية والنهاية في وصفه للمدرسة المستنصرية ببغداد قائلا: إنها "وقفت على المذاهب الأربعة، من كل طائفة اثنان وستون فقيها، وأربعة معيدين، ومدرس لكل مذهب، وشيخ حديث، وقارئان، وعشرة مستمعين، وشيخ طب..."[٦٧].

ج- إسهام الوقف في تحديد رواتب المدرسين ومنح الدارسين وسكناهم:

جوز الفقهاء للمعلم أخذ مرتبه من حبس المدرسة، إن قام بالوظيفة المشروطة عليه في ذلك، وكان المال الموقوف على المدرسة لا يعلم أنه تعلق به حق معين فذلك حلال[٦٨]، لذلك رصدت الأوقاف للعلماء والمدرسين مبالغ ومرتبات ممتازة أوصى بها الواقفون[٦٩]، ليتمكن العلماء من أداء رسالتهم باستقلال تام عن السلطان وعن التقلبات السياسية، فقد كان يدفع لمعلمي الكتاتيب من الأراضي والعقارات المحبسة على هذا السبيل، أو أن يأخذوا أجرتهم من أحباس المسجد، قياسا على إمام الصلاة، كما كان معلمو المرحلة

الثانية من التعليم فى المدارس يأخذون مرتباتهم من الأوقاف[٧٠].

وقد كانت المدارس الوقفية مجهزة لسكن الطلاب، على أن الساكن فيها عليه استفراغ جهده فى التحصيل والحضور لمجالس التدريس التى تعقد فى المدرسة.

ففى المغرب "توجد أحباس خاصة لسكنى طلبة العلم، وتوفير حاجاتهم؛ فمثلا توجد بمدينة تطوان مؤسسة جامع لوقش، بها حوالى ستون غرفة محبسة لسكنى الطلبة وإطعامهم"[٧١]، وكان الناظر يراعى عند توزيع البيوت على الطلبة ما يضمن راحتهم ومصالح المدرسة والمصلين والدارسين، فيخصص بيوت الصدارة للعلماء والمتقدمين من الطلبة، والبيوت المضيئة لمن يشتغل منهم بالنسخ، ويسكن أهل الحضر فى الطابق العلوى؛ لأنهم أقل إزعاجا من البدو الجفاة[٧٢].

إن مؤسسة الأوقاف كانت توفر كثيرا من الخدمات لطلاب العلم، سواء تعلق الأمر بالخدمات التعليمية من اختيار للعلماء والمدرسين الأكفاء، وتحديد المناهج المتوافقة مع متطلبات عصرهم، أو ما تعلق منها بالسكنى والمنح الدراسية، وهذا كله من أجل أن يتفرغ الطالب للدراسة والتحصيل، ولا ينشغل عما يصرفه عن ذلك من أمور العيش.

وقد تبين مما سبق، مدى إسهام الوقف فى تمويل المؤسسات التعليمية فى المجتمع الإسلامى؛ وهو مما مكن تلك المؤسسات "بقدر كبير من الاستقلالية والأمن الاقتصادى والحرية الأكاديمية، إلى الدرجة التى لم يكلف عندها الطلاب بدفع نفقات تعليمهم، بل إنهم كانوا يتلقون إعانات نقدية وعينية تعينهم على التعليم، وعلى مواجهة متطلبات المعيشة"[٧٣]؛ وهذا يعنى أن ازدهار التعليم[٧٤] فى الحضارة العربية الإسلامية ارتبط ارتباطا وثيقا بتمويل الوقف الذى يعد بحق المورد الأساسى لتمويل التعليم فى ذلك الزمان؛ إذ إنه شمل جميع جوانب العملية

التعليمية، على أساس أن الوثيقة الوقفية كانت النظام الأساسى للمؤسسة التعليمية، بما تتضمنه من تحديد للمنهج التعليمى، وصفات القائمين على التدريس، إضافة إلى مواعيد الدراسة، مع النص على النظام الإدارى لها[٧٥].

ثانيا- الوقف على المؤسسات الثقافية فى المجتمعات الإسلامية:

أسهمت مؤسسة الأوقاف فى نشر الثقافة الإسلامية فى المجتمع الإسلامى، وذلك من خلال الوقف على المكتبات، والكراسى العلمية فى المساجد، كما كان لمؤسسة الأوقاف أثر بارز فى الحضارة المعمارية، والحفاظ على الفن والتراث الإسلامى، وبيان ذلك كما يأتى:

١- الخزانات العلمية أو المكتبات:

تعد المكتبة أهم مؤسسة يمكن أن تعمل على الرقى الحضارى للمجتمع المدنى، لما لها من آثار تربوية مهمة، لعل أبرزها: تنمية ميول الطلاب نحو القراءة، خاصة فى المراحل المدرسية الأولى؛ إذ تتحول المطالعة والقراءة إلى عادة أصيلة، تلبى حاجات الطلاب المعرفية والوجدانية والمهارية، على النحو الذى يجعل لها الأثر البالغ فى صقل مواهبهم المختلفة، وإضافة إلى ذلك فإن المكتبة تمد الطلاب فى المراحل الدراسية المتقدمة بالمصادر والمراجع، لإجراء البحوث، وتنمية مهارات البحث العلمى والتعلم الذاتى[٧٦] Self Education، كما تعد المكتبة فضاء حضاريا واسعا، لا تحده حدود، خاصة فى عالم المعلوماتية؛ وهو ما يجعلها وسيلة فعالة لنشر الثقافة المحلية والعالمية.

ولتلك الأهمية التى تمتعت بها المكتبات فى كل العصور؛ فإن الأوقاف كانت هى المصدر الذى ينفق منه على المكتبات، وما يلزمها من ترميم للبناء، ومد المكتبة بالكتب الجديدة، ودفع مرتبات الموظفين، وكان المشرف على المكتبة يحصل ريع الوقف وينفقه على مصاريفه السابقة[٧٧].

إن أهم الأبعاد الثقافية لمؤسسة الوقف[٧٨]، هو إنشاء المكتبات، وتزويدها بالكتب، فى مختلف صنوف المعرفة، وفتحها أمام طلاب العلم، بدون مقابل، خلافا لما هى عليه الحال فى العصر الحاضر الذى أصبحت فيه المكتبات بالرسوم والاشتراكات الدورية، مع العلم أن المكتبات الوقفية نشأت فى الحضارة العربية الإسلامية[٧٩] تلبية لحاجة طلاب العلم، غير القادرين على شراء الكتب التى كانت مرتفعة الثمن، لنسخها باليد؛ ذلك أن الطباعة لم تكن منتشرة فى ذلك الزمان، وكذلك للتغلب على مصاعب الحصول على الكتب من أنحاء العالم الإسلامى[٨٠]. وعلى هذا كان قيام المكتبات معبرا عن عاطفة إنسانية، وتضامن اجتماعى، وعن نزعة علمية فى وقت واحد، فأنشئت المكتبات الوقفية بجانب المساجد والمدارس والمستشفيات، بل قلما تجد مكانا أو قرية صغيرة ليس فيها مكتبة[٨١]. لذلك فإن وقف الكتب كان هو الأساس الذى قامت عليه المكتبة العربية الإسلامية[٨٢].

ومن المكتبات الوقفية التى لعبت دورا مهما فى التاريخ الإسلامى، المكتبة التى بناها ثم أوقفها بنو عمار فى طرابلس الشام، وكانت آية فى السعة والضخامة؛ إذ كان عدد الناسخين فيها يتناوبون العمل ليل نهار، فلا ينقطع النسخ فيها، ويقال إنها حوت مليون كتاب، على أرجح الأقوال[٨٣].

وقد تنوعت المكتبات فى المجتمع الإسلامى إلى مكتبات عامة وخاصة، فالمكتبات العامة هى المكتبات التى أنشأها الواقفون لعموم الناس، وكانت ملحقة بالمساجد والمدارس والمستشفيات والزوايا، أما المكتبات الخاصة فهى التى كان ينشئها العلماء والملوك والأمراء والموسرون فى منازلهم[٨٤].

ففى العصر المملوكى كانت توجد الأنواع المختلفة للمكتبات؛ "فمن أشهر مكتبات المساجد، مكتبة الجامع المؤيدى التى كانت تحتوى كتبا فى مختلف العلوم والفنون، وأما المكتبات المدرسية فكثيرة؛ منها: مكتبة المدرسة الظاهرية التى أسسها الظاهر بيبرس، ووقف عليها خزانة كتب جليلة، حمل إليها أمهات

الكتب فى سائر العلوم والمذاهب، أما مكتبات البيمارستانات [كليات الطب الحديثة]، فهى كثيرة؛ منها: البيمارستان المنصورى الذى أنشأه الملك المنصور قلاوون، ووقف عليه الأوقاف السخية، وجعل به خزانة كتب"[٨٥]، كما وقف على المدرسة المستنصرية "خزائن كتب، لم يسمع بمثلها فى كثرتها، وحسن نسخها، وجودة الكتب الموقوفة بها"[٨٦].

وفى المغرب، مولت الأوقاف الخزانات العلمية على مر العصور، ففى عهد بنى مرين أنشأ أبو عنان المرينى عام ٧٥٠هـ خزانة علمية تشتمل على كتب فى مختلف صنوف المعرفة، وهذا هو نص وثيقتها الوقفية:

"الحمد لله حق حمده، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده، ورضى الله عن الخلفاء القائمين بالحق من بعده.

مما أمر به من أحيا الله بإيالته الأنام، وتدارك بدولته الإسلام، أمير المؤمنين، المتوكل على رب العالمين، المظفر المنصور المولى أبو عنان، ابن الخلفاء الراشدين المرهبين، أدام الله للمسلمين أيامه، ونشر أعلامه، إنشاء هذه الخزانة السعيدة، الجامعة للعلوم المجيدة، المشتملة على الكتب التى أنعم بها من مقامه الكريم، المحتوية على أنواع من العلوم الواجب لها التعظيم والتكريم، جعل ذلك نصره الله وقفا مؤبدا لجميع المسلمين، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، حضا منه - أيده الله - على طلب العلم وإظهاره، وارتقائه واشتهاره، تسهيلا لمن أراد القراءة والنسخ منها والمطالعة والمقابلة، وليس لأحد أن يخرجها من أعلى المودع التى هى فيه، ولا يغفل المحافظة عليها والتشويه، أراد بذلك وجه الله العظيم، وثوابه الجسيم، ضاعف الله بذلك حسناته، ولاقى فى الجنان درجاته، وأطال ملكه، ونظم فى الصالحات سلكه، وذلك فى جمادى الأولى، عام خمسين وسبعمائة، أوصله الله بالبركات الزكية"[٨٧].

ومن نماذج المكتبات الوقفية الأهلية الذى كان يوقفها العلماء على أبنائهم الذكور، مكتبة الزاوية الحمزية التى أوقفها الشيخ سيدى محمد بن أبى بكر العياشى، وأخوه سيدى عبد الجبار بن أبى بكر المتوفى سنة ١٠٨٢هـ، وهذا نص الوثيقة الوقفية:

"الحمد لله، حبس المرابط، سيدى محمد بن أبى بكر العياشى، وأخوه سيدى عبد الجبار، جميع كتبها التى من جملتها هذا التآليف المبارك، وهو سيرة سيد البشر عليه الصلاة والسلام، تآليف ابن سيد الناس اليعمرى - على بنيها الذكور دون الإناث، حبسا مؤبدا، لا يورث ولا يوهب، حتى يرث الله الأرض ومن عليها. وتولى حيازة ذلك طالب الخير، سيدى عبد الكريم بن محمد المذكور وسيدى محمد بن عبد الجبار المذكور أيضا، حوزا تاما، وقبلا ذلك منهما قبولا تاما، شهد بذلك من عرفها، فيما سلف عن تاريخه بنحو عام، وتأخر الوضع لأواخر جمادى الثانية، عام ثمانية وخمسين وألف، عبيد ربه تعالى... محمد بن عبد الله الصنهاجى، لطف الله به، وأبو زيان محمد بن الحاج الندى، لطف الله به"[٨٨].

وقد وجدت إلى جانب المكتبات الوقفية فى كثير من الأحيان، المراصد الفلكية التى بنيت بجانبها مساكن للعلماء، سواء من كان يعمل فى المكتبة، أو فى المرصد الفلكى. وقد أسهمت هذه المراصد الفلكية فى نشر عدد من الرسائل فى علم الفلك[٨٩].

ومما سبق يمكن استخلاص الدور الذى قامت به الأوقاف فى دعم الخزانات والمكتبات، بقصد تيسير البحث العلمى، ونشر الثقافة والآداب فى مختلف العهود[٩٠]. ويعد ذلك من أكثر الممارسات الثقافية فائدة ونفعا، لكونها تقوم بوظيفة بث العلم والمعرفة بين الناس؛ وهو مما جعل ذلك من محاور الوقف المهمة[٩١].

٢ ـ الكراسى العلمية:

أسهمت الأوقاف على الكراسى العلمية فى نشر التعليم والثقافة الإسلامية فى مختلف المساجد فى العالم الإسلامى على مر التاريخ. والكرسى العلمى كان ينشأ نتيجة إحساس الواقف بالحاجة إلى تدريس علم من العلوم، فيخصص أوقافا له من أجل بقائه واستمراره، وهذا ما يفسر تنوع العلوم التى كانت تدرس فى الكراسى العلمية من فقه وتفسير وأصول وحديث وقراءات[٩٢].

ويذكر ابن بطوطة أن ظهور الكراسى العلمية كان فى المشرق، فالمدرسة المستنصرية ببغداد، كان "بها المذاهب الأربعة، لكل مذهب إيوان فى المسجد، وموضع التدريس، وجلوس المدرس فى قبة من خشب صغيرة على كرسى عليه البسط، ويقعد المدرس عليه، وعليه السكينة والوقار، لابسا السواد معتما، وعلى يمينه ويساره معيدان يعيدان كل ما يقوله، وهكذا ترتيب كل مجلس من هذه المجالس الأربعة"[٩٣].

أما فى المغرب فقد برزت ظاهرة الكراسى العلمية فى عهد المرينيين نتيجة لازدهار الفكر والثقافة، وكانت لهذه الكراسى "أوقاف خاصة صادرة عن الملوك والأمراء والأفراد، تشمل وقف عقارات، وأملاك على العلماء والمحدثين، للتدريس بهذه الكراسى، وضمان استمرارها لأداء رسالتها"[٩٤]. ثم ازدهرت الكراسى العلمية فى عهد السعديين بتزايد عددها، وكثرة الأوقاف عليها من قبل الأمراء وعامة الناس. فمن نماذج الكراسى العلمية بفاس فى عهد الوطاسيين والسعديين، "كرسى البخارى بشرح فتح البارى، عن يسار الطالع من الباب الواقع بشرقى القرويين، أنشأه وخصص له أوقافا عدة الأمير أحمد الوطاسى (ت ٩٦٠/١٥٥٣)، وكرسى محصل المقاصد فى التوحيد، عن يمين الداخل للقرويين من باب الحفاة، لعله من إنشاء السلطان أحمد المنصور، وكرسى الموطأ وعمدة الأحكام فى الحديث، بأحد أركان القرويين، وكرسى

حديثي مماثل له عند باب مقصورة الخطيب بجامع الأندلس، وهما من إنشاء خطيب القرويين عبد العزيز الورياغلي.

وفي مراكش، كرسي التفسير بمسجد أبي العباس السبتي، من إنشاء الأمير أبي فارس بن أحمد المنصور ووقفه، وكراسي متعددة العلوم، متنوعة بجامع باب دكالة من أوقاف عودة الوزكيتية والدة أحمد المنصور"[٩٥].

وفي عهد المولى إسماعيل (ت ١٧٢٧م) كان للكراسي العلمية "دور طلائعي في نشر الثقافة والحفاظ عليها وتنميتها منذ عدة قرون، وكان أشهر مركز تعليمي في جنباتها هو جامع القرويين، ثم جامع الأندلس، ثم جامع الشرفاء... ولكن المركز الذي احتل قصب السبق في العطاء المعرفي هو جامع القرويين، وقد اشتمل هذا الجامع على ١٨ كرسيا، يرجع إنشاء بعضها إلى النصف الأول من القرن السادس الهجري، وبعضها أنشئ فيما بعد. ومن بين الكراسي العلمية بجامع القرويين التي بقيت مستمرة العطاء في عهد المولى إسماعيل: أولا كرسي المحراب، ويرجع تاريخ إنشائه إلى سنة ٦٥١هـ، وقد كان خاصا في البداية بتفسير القرآن للثعلبي ٤٢٧هـ، وحلية الأولياء لابن نعيم ٤٣٠هـ.

وقد بلغ عدد العقار المحبس على هذا الكرسي أكثر من ٢١ عقارا، منها ١٢عقارا للقراءة صباحا و ٩ للقراءة مساء[٩٦].

أما في مكناس فإن المساجد فيها كانت تعد مؤسسات ثقافية شعبية، يتعلم فيها الخاصة والعامة من الناس، وكان أشهر هذه المساجد في نشر العلم وبثه في صدور الناس الجامع الأعظم الذي تدرس فيه العلوم الشرعية. وقد كان هذا الجامع يتوفر على عدة كراسي علمية مدعومة بالأوقاف، بلغ عددها سبع كراسي علمية، يدرس فيها علماء أجلاء[٩٧].

ويلاحظ أن الكرسي العلمي كان يضاف إلى الفن أو الكتاب الذي سيدرس

فيه، كما كانت بعض الكراسى تلقب بكرسى التدريس؛ أى أنها كراسى مفتوحة، فتكون للعالم فيها الحرية فى اختيار العلم الذى يرغب فى تدريسه، كما أن بعض الكراسى كانت تنسب إلى مشاهير العلماء؛ ككرسى الونشريسى (ت ١٣٠٦). وهذا يعنى أن الواقف هو الذى كان يحدد العلم الذى سيدرس فى كرسى معين، بناء على الحاجة إليه، بل قد يعين حتى العالم الذى سيقوم بالتدريس فى ذلك الكرسى، لذلك كانت توضع شروط معينة من أجل التدريس، فليس كل من هب ودب يمكن أن يلقى الدروس، وإنما لابد من أن يكون عالما بالشرع، وبالكرسى الذى سيختص فيه[٩٨]. ومن أمثلة ذلك الكرسى المختص بتجويد القرآن الكريم بسارية فى جامع القرويين، وقد أنشأ وقف هذه السارية الشيخ أبو العباس أحمد ابن محمد الشاوى (المتوفى فى عام ١٠١٤هـ)، وقد عين المحبس لهذا الوقف الأستاذ أبا العباس أحمد بن على بن شعيب الفاسى (ت ١٠١٥هـ)، ثم من يأتى بعده[٩٩].

ويستخلص مما سبق، أن الكراسى العلمية أسهمت بشكل كبير فى توطيد دعائم الدين وعلومه ونشر الثقافة الإسلامية، من خلال ما توافر لديها من أوقاف مخصصة لها، دعمت مسيرتها على مر التاريخ، إضافة إلى الدور التعليمى المتميز للكراسى العلمى من خلال العلوم والتخصصات التى كانت تدرس بها، بطريقة نظام التعليم المفتوح فى وجه كل من يعمر بيت الله والراغب فى التعلم.

٣- الوقف وإسهامه فى العمران:

أسهم الوقف بشكل مباشر فى ازدهار العمران فى المجتمع الإسلامى، فالوقف على المؤسسات التعليمية والثقافية من مساجد ومدارس ومكتبات ومستشفيات، أدى إلى نشوء المدن وتطورها على مر التاريخ[١٠٠]، وبذلك تكوّن ميراث عمرانى، تمثلت فيه جمالية العمارة الإسلامية، لذلك تأتى القيمة العمرانية مقصدا أساسيا للنظام الوقفى[١٠١].

ولقد كان من أثر ذلك أن أسهم العمران الوقفى فى المحافظة على فن العمارة الإسلامية، وتصويرها أحسن تصوير، بما يتميز به من هندسة وزخرفة ونقوش متنوعة. وفن العمارة الإسلامية يلاحظ أساسا فى المساجد والمدارس والكتاتيب القرآنية والمدن الطبية، وكل المرافق العامة للمجتمع الإسلامى، فكثير من المساجد قد بنى بأموال موقوفة، بل إن أغلب الواقفين المسلمين كانوا يحبسون أموالهم على المساجد؛ لأنهم يعدونها اللبنة الأولى للمجتمع، فكانت تبنى بطريقة هندسية رائعة، مازالت محل انبهار الإنسان المعاصر إلى يومنا هذا. كما كانت تحتوى على زخارف ونقوش جميلة، سواء على الجبص أو الخشب أو الأحجار الكريمة. وغالبا ما تبنى بجانب المساجد مدارس وكتاتيب قرآنية، من أجل تعليم الصغار، وتحفيظ القرآن الكريم، وهى الأخرى لا تخلو من هذه الفنون الجميلة؛ ذلك أنه بمجرد الانتهاء من بنائها يبدأ الحرفيون فى تحويل جدرانها الصماء إلى قصر بديع جميل، فيكسون الحيطان والأرضية والأعمدة بالزخارف الجصية والزليج الرائع والخشب المنحوت[١٠٢]؛ وهو مما جعل المدرسة غاية فى الحسن والجمال، شهدت بأثر الوقف فى العمران وفى التمدن الحضارى الذى عرفته عصور الإسلام، من خلال ما كان يشيده الواقفون من مؤسسات تعليمية وثقافية فى المجتمع الإسلامى.

إن دور الأوقاف فى خدمة الآثار والفنون الجميلة، يكشف المعنى المدنى العميق لنظام الوقف الذى تجاوز كونه نظاما دينيا مغلقا، إلى القيام بدور ملموس فى دعم القيم الجمالية والفنية، ولذلك فالفضل يرجع إلى نظام الوقف الإسلامى فى بقاء عدد من المبانى والمنشآت الأثرية، ذات القيمة التاريخية والفنية والمعمارية التى تسر الناظرين بمشاهدتها، وتزخر بها معظم المدن والحواضر الإسلامية[١٠٣].

خلاصة كل ما سبق: يمكن القول إن التطور التاريخى والحضارى لنظام الوقف، جعل هذا النظام أهم مدخل لتمويل المؤسسات التعليمية والثقافية فى

المجتمعات الإسلامية؛ وهو ما كان له أثر واضح فى تكوين بنية الحضارة العربية الإسلامية. ولعل نظام الوقف قادر اليوم على تحقيق الآثار الحضارية نفسها، خاصة ما تعلق منها ببناء المؤسسات التعليمية وتجهيزها بالمعدات التكنولوچية الحديثة، طلبا للتقدم العلمى والتقنى والحضارى للأمة من جديد.

كما يستنتج مما سبق، أن الأمة هى التى كانت تتبنى المؤسسات التعليمية والثقافية، فأنفقت عليهما بسخاء، من خلال الأوقاف المرصودة لهما؛ وهو ما أدى إلى ازدهار الحركة العلمية والثقافية فى المجتمعات الإسلامية. لذ لابد أن تعود الأمة إلى دورها الحضارى الأصيل، من خلال مؤسسات المجتمع المدنى الوقفية، وتتبنى من جديد قضية التعليم والثقافة، لخلق نوع من التوازن أمام عجز الدولة الحديثة عن الإنفاق الكلى على التعليم، تحقيقا لمعانى المساواة وتكافؤ الفرص التعليمية بين أفراد المجتمع، وجعل التعليم المتميز حقا للجميع، كما توصى بذلك المواثيق الدولية.

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUTE OF ARAB RESEARCH AND STUDIES

الهـــوامش:

(١) الآية: ٩٢ من سورة آل عمران.

(٢) رواه مسلم فى صحيحه.

(٣) سليمان بن عبد الله، الوقف وأثره فى تنمية موارد الجامعات، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤ م، ص٣٠.

(٤) حامد عمار، فى التوظيف الاجتماعى للتعليم، ط٢، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٩٩٧، ص٥٩.

(٥) بركات محمد مراد، الوقف فضيلة إسلامية وضرورة اجتماعية، البيان، عدد ٢٢٨، السنة ٢١، شعبان ١٤٢٧هـ/ سبتمبر ٢٠٠٦، ص١٩.

(6) A. GUESSOUM, Le rôle socio-économique du Waqf dans la société musulmane : historique et perspective, AWQAF, numéro expérimental, Novembre 2000, p.40.

(٧) محمد بنعبد الله، الوقف فى الفكر الإسلامى، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ج١، ص١١.

(٨) عبد المالك أحمد السيد، الدور الاجتماعى للوقف، ندوة إدارة وتثمير ممتلكات الأوقاف، ط١، جدة، البنك الإسلامى للتنمية، المعهد الإسلامى للبحوث والتدريب، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص٢٢٩.

(٩) محمد الحجوى، الجوامع والمدارس والزوايا التى ازدهرت بمال الوقف فى المغرب، أوقاف، عدد ٧، السنة الرابعة، شوال ١٤٢٥هـ/ نوفمبر ٢٠٠٤م، ص٩٥.

(١٠) محمد بنعبد الله، ناظر الوقف وتعامله مع حركة التعليم الإسلامى، دعوة الحق، عدد ٢٦٩، سنة ١٩٨٨، ص٢٦٥.

(١١) المسجد فى الأندلس إلى زمن متأخر كان هو المدرسة الوحيدة؛ إذ ذكر أحمد ابن المقرى، وهو يتحدث عن الأندلس، أنه لم يكن "لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرءون جميع العلوم فى المساجد بأجرة". أحمد بن المقرى التلمسانى، نفح الطيب من غصن الأندلس

الرطيب، ج١، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨، ص٢٢٠.

(١٢) مصطفى السباعى، من روائع حضارتنا، ط٢، القاهرة، دار السلام، ٢٠٠٥، ص١٠٠.

(١٣) الدسوقى محمد، الوقف ودوره فى تنمية المجتمع الإسلامى، سلسلة قضايا إسلامية، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القسم الأول، عدد ٦٤، سنة ٢٠٠٠، ص٩١.

(14) Les enseignants étaient payés par le Waqf, ce qui les rendait indépendants moralement et matériellement du pouvoir public. Waqf et développement, Publié le mercredi 4 juillet 2007. http://www.bismillah-debats.fr.st/article.php3?id_article=230, Le temps de visite: 4/1/2008.

(١٥) الدسوقى محمد، الوقف ودوره فى تنمية المجتمع، مرجع سابق، ص٩٣.

(١٦) ممدوح الصدفى، وآخرون، الدور التربوى والاجتماعى للمسجد، الرباط، إيسيسكو ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٦ وما بعدها.

(١٧) حسن عبد الغنى أبو غدة، الوقف ودوره فى التنمية الثقافية والعلمية، مجلة الشريعة والقانون، عدد ٢٢، ذو القعدة ١٤٢٥هـ/ يناير ٢٠٠٥م، كلية الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ص٤٧.

(١٨) نعمت عبد اللطيف مشهور، أثر الوقف فى تنمية المجتمع، القاهرة، مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى، جامعة الأزهر، ١٩٩٧، ص٨٢.

(١٩) محمد بنعبد الله، الوقف فى الفكر الإسلامى، مرجع سابق، ج٢، ص٥٧.

(٢٠) ممدوح الصدفى، مرجع سابق، ص٧ وما بعدها.

(٢١) أحمد الحفناوى، جامعة القرويين فى المغرب (تاريخها التعليمى وعطاؤها الفكرى والسياسى)، ط١، القاهرة، بدون دار نشر، ٢٠٠٠، ص٢٥.

(٢٢) السعيد بوركبة، آثار الوقف فى الحياة المجتمعية بالمغرب عبر التاريخ، دعوة الحق، عدد ٢٨٤، ذو الحجة ١٤١١/ يوليو ١٩٩١، ص١١٧.

(٢٣) عبد الهادى التازى، توظيف الوقف لخدمة السياسة الخارجية فى المغرب، ندوة الوقف فى العالم الإسلامى أداة سلطة اجتماعية وسياسية، دمشق، المعهد الفرنسى للدراسات العربية بدمشق، تقديم راندى ديغيليم، ١٩٩٥، ص٦٤.

(٢٤) مصطفى محمد رمضان، دور الأوقاف فى دعم الأزهر كمؤسسة علمية إسلامية، ندوة مؤسسة الأوقاف فى العالم العربى والإسلامى، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١٢٥- ١٢٦.

(٢٥) نعمت مشهور، أثر الوقف فى تنمية المجتمع، مرجع سابق، ص٤٨.

(٢٦) محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر خلال العصر المملوكى، ط١، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٠، ص١٧٨ وما بعدها.

(٢٧) محمد أبو الأجفان، الوقف على المسجد فى المغرب والأندلس وأثره فى التنمية والتوزيع، دراسات فى الاقتصاد الإسلامى، بحوث مختارة من المؤتمر الدولى الثانى للاقتصاد الإسلامى، ط١، المركز العالمى لأبحاث الاقتصاد الإسلامى، جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص٣١٨.

(٢٨) أحمد شلبى، موسوعة الحضارة الإسلامية، التربية والتعليم فى الفكر الإسلامى، ط١١، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٩، ص٤٧ وما بعدها.

(٢٩) صقلية هى جنوب إيطاليا اليوم.

(٣٠) مصطفى السباعى، من روائع حضارتنا، مرجع سابق، ص١٠٠.

(٣١) السعيد بوركبة، دور الوقف فى الحياة الثقافية بالمغرب فى عهد الدولة العلوية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٩٩٦، ج١، ص٢٣٥ وما بعدها.

(٣٢) مصطفى السباعى، من روائع حضارتنا، مرجع سابق، ص١٠٠.
(٣٣) أحمد أبو زيد، نظام الوقف الإسلامى: تطوير أساليب العمل وتحليل نتائج بعض الدراسات الحديثة، الرباط، منظمة الإيسيسكو، الأمانة العامة للأوقاف بالكويت ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص٤٠.
(٣٤) محمد عيسى، تاريخ التعليم فى الأندلس، ط١، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٨٢، ص٢٦٠، ص٣٧٣.
(٣٥) ياقوت بن عبد الله الحموى، معجم البلدان، بيروت، دار الفكر، ج١، ص٤١٨.
(٣٦) محمد بن جبير، رحلة ابن جبير، تحقيق: محمد زيادة، بيروت، دار الكتاب اللبنانى، ص١٦٤.
(٣٧) إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، ج١٣، ص١٣٩.
(٣٨) صلاح حسين العبيدى، مؤسسة الأوقاف ودورها فى الحفاظ على الآثار الإسلامية والمخطوطات، ندوة مؤسسة الأوقاف فى العالم العربى والإسلامى، مرجع سابق، ص١٩٢.
(٣٩) عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ط٥، بيروت، دار القلم، ١٩٨٤، ج١، ص٤٣٥.
(٤٠) محمد بن عبد الله اللواتى، رحلة بن بطوطة، ط٤، تحقيق: على المنتصر الكتانى، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥، ج١، ص٥٤.
(٤١) السعيد بوركبة، دور الوقف فى الحياة الثقافية بالمغرب، مرجع سابق، ج١، ص٧٩-٨٠.
(٤٢) أبو العباس أحمد الناصرى، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصرى، ومحمد الناصرى، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ج٣، ص٦٥.
(٤٣) المصدر السابق، ج٣، ص١١١.
(٤٤) محمد الحجوى، الجوامع والمدارس، مرجع سابق، ص١٠٢.

(٤٥) محمد الحبيب التجكانى، الإحسان الإلزامى فى الإسلام وتطبيقاته فى المغرب، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص٦٠٨.

(٤٦) عبد الحميد محيى الدين، المؤسسات الثقافية الإسلامية فى جنوب المغرب بين ماضيها ومستقبلها، ندوة مستقبل العالم الإسلامى الثقافى من خلال واقعه المعاصر، مجلة جامعة القرويين، العدد الثامن، ١٤١٥هـ/١٩٩٤، ص١٩٥.

(٤٧) محمد مرتضى الزبيدى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج٣٦، ص٣٧٤.

(٤٨) المصدر السابق، ج٢٥، ص٢٧٠.

(٤٩) محمد أمين، مرجع سابق، ص٢٠٧.

(٥٠) رواه الطبرانى فى المعجم الأوسط، ٨/٢٠٠.

(٥١) محمد بن أبى بكر الرازى، مختار الصحاح، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، تحقيق: محمود خاطر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ج١، ص١١٧.

(52) R. DEGUILHEM, ABDEHAMID HANIA, Les fondations Pieuses (waqf) en Méditerranée enjeux de société; enjeux de pouvoir, Kuwait Awqaf Public Fondation, Kuwait 2004, p.241.

(53) J. LUCCIONI, Les fondations Pieuses " Habous " au Maroc depuis les origines jusqu' à 1956, Imprimerie Royale - RABAT. 1982, p.56-60.

(٥٤) محمد الحجوى، الجوامع والمدارس والزوايا، مرجع سابق، ص١٠٣.

(٥٥) تاج العروس، ج١٩، ص٢٩٩.

(٥٦) محمد الدسوقى، دور الوقف فى تنمية العمل فى مجال الدعوة الإسلامية، الوعى الإسلامى، عدد ٤٠٢، صفر ١٤٢٠هـ/ يونيو ١٩٩٩، ص٣٠.

(٥٧) أحمد عوف عبد الرحمن، الأوقاف والحضارة الطبية الإسلامية، سلسلة قضايا إسلامية، عدد ١٣٦، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص٥٧.

- جمال محمد الهنيدى، تربية علماء الطبيعيات والكونيات المسلمين فى القرون الخمسة الأولى من الهجرة، ط١، المنصورة، دار الوفاء، ٢٠٠٠، ص٣٥٣ وما بعدها.

(٥٨) مصطفى السباعى، مرجع سابق، ص١٠٩.

(٥٩) هو ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة أبو الحسن الطبيب المؤرخ، مات سنة خمس وستين وثلاثمائة، وكان أبو الحسن طبيبا حاذقا وأديبا بارعا. ياقوت الحموى، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ٢/٣٦٤-٣٦٥.

(٦٠) أحمد بن القاسم الخزرجى، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ص٣٠١.

(٦١) صلاح الدين الصفدى، الوافى بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناءوط، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج٢٨، ص٩٨.

(٦٢) عبد الله المعيلى، دور الوقف فى العملية التعليمية، ندوة مكانة الوقف وأثره فى الدعوة والتنمية، مكة المكرمة، ١٨-١٩ شوال ١٤٢٠هـ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ص٧٠٢.

(٦٣) سحر عبد الرحمن مفتى، وقف العلماء والمدرسين فى المدينة المنورة، ندوة الوقف الإسلامى، جامعة الإمارات العربية المتحدة، كلية الشريعة والقانون ٦-٧ شعبان ١٤١٨هـ/ الموافق ٦-٧ ديسمبر ١٩٩٧، ص٤.

(٦٤) أحمد العامرى، المعلم فى التراث التربوى المغربى: مواصفاته، مؤهلاته، مسئولياته التربوية، دعوة الحق، عدد ٣٥٩، السنة الثانية والأربعون، ربيع الأول ١٤٢١هـ/ مايو ٢٠٠١م، ص١٢٥.

(٦٥) حسن أبوغدة، الوقف ودوره فى التنمية الثقافية والعلمية، مرجع سابق، ص٥٥.

(٦٦) أحمد أبو زيد، نظام الوقف الإسلامى، مرجع سابق، ص٤٢.

(٦٧) إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، ج١٣، ص١٣٩.

(٦٨) أحمد بن يحيى الونشريسى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ٢٩٤/٧.

(٦٩) محمد بنعبد الله، ناظر الوقف وتعامله مع حركة التعليم، الحلقة ١٥، دعوة الحق، ١٩٨٨، ص٧١.

(٧٠) محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم فى الأندلس، مرجع سابق، ص٣٦٢.

(٧١) محمد التجكانى، الإحسان الإلزامى، مرجع سابق، ص٥٥٩.

(٧٢) محمد حجى، الحركة الفكرية بالمغرب فى عهد السعديين، منشورات دار المغرب، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ج١، ص١٢٧.

(٧٣) سعيد إسماعيل على، التعليم على أبواب القرن الحادى والعشرين، القاهرة، عالم الكتاب، ١٩٩٨، ص٢٧.

(٧٤) الزبير مهداد، مؤسسات التعليم فى الحضارة العربية، دعوة الحق، عدد ٣٦٢، السنة الثانية والأربعون، شعبان ١٤٢٢هـ/ أكتوبر ٢٠٠١م، ص٣٤.

(٧٥) أحمد عوف عبد الرحمن، الأوقاف والحضارة الطبية الإسلامية، مرجع سابق، ص٩٩.

(٧٦) محمد الخطيب، لمحات فى المكتبة والبحث والمصادر، ط٢، الرياض، (د.ن)، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١، ص٢٢ وما بعدها.

(٧٧) أحمد شلبى، موسوعة الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص١٨٣.

(٧٨) محمد الأرناءوط، دور الوقف فى المجتمعات الإسلامية، ط١، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٠، ص٨١.

(٧٩) محمد الخطيب، لمحات فى المكتبة، مرجع سابق، ص٢٤ وما بعدها.

(٨٠) يحيى محمود ساعاتى، الوقف وبنية المكتبة العربية، ط٢، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص٣٢.

(٨١) مصطفى السباعى، من روائع حضارتنا، مرجع سابق، ص١١٧-١٢٠.
(٨٢) بركات محمد مراد، الوقف فضيلة إسلامية وضرورة اجتماعية، مرجع سابق، ص٢٢.
(٨٣) السيد النشار، تاريخ المكتبات فى مصر: العصر المملوكى، ط١، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣، ص٦٣.
(٨٤) محمد حجى، الحركة الفكرية بالمغرب فى عهد السعديين، مرجع سابق . ج١، ص١٨٨.
(٨٥) السيد النشار، تاريخ المكتبات فى مصر، مرجع سابق، ص٦٣ وما بعدها.
(٨٦) إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج١٣، ص١٤٠.
(٨٧) يحيى محمود ساعاتى، الوقف وبنية المكتبة العربية، مرجع سابق، ص٧١-٧٢.
(٨٨) محمد المنونى، مكتبة الزاوية الحمزية، مجلة للأبحاث المغربية الأندلسية، عدد ٨، ١٩٦٣، ص٩٧-٩٨.
(٨٩) على جمعة محمد، الوقف وأثره التنموى، ندوة نحو دور تنموى للوقف، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ١٩٩٣، ص١١٨.
(٩٠) محمد بنعبد الله، ناظر الوقف وتعامله مع حركة التعليم الإسلامى، دعوة الحق، عدد ٢٧٤، سنة ١٩٨٩، ص١٠٦.
(٩١) فؤاد عبد الله العمر، إسهام الوقف فى العمل الأهلى والتنمية الاجتماعية سلسلة الدراسات الفائزة فى مسابقة الكويت الدولية لأبحاث الوقف ١٩٩٩، ط١، الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص٢٩.
(٩٢) محمد المنونى، كراسى الأساتذة بجامعة القرويين، دعوة الحق، عدد ٤، السنة التاسعة، ١٩٦٦، ص٩١.
(٩٣) محمد بن عبد الله اللواتى، رحلة ابن بطوطة، ط٤، تحقيق: على المنتصر الكتانى، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ، ج١، ص٢٤٤.

(٩٤) يوسف الكتانى، ظاهرة الكراسى العلمية، دعوة الحق، عدد ٢٤٤، جمادى الأولى ١٤٠٥هـ/ يناير ١٩٨٥م، ص١٠٢-١٠٣.
- محمد المنونى، كراسى الأساتذة بجامعة القرويين، مرجع سابق، ص٩١.

(٩٥) محمد حجى، الحركة الفكرية، مرجع سابق، ص١١٩.

(٩٦) السعيد بوركبة، دور الوقف فى الحياة الثقافية بالمغرب، مرجع سابق، ج١، ص٢١٥ وما بعدها.

(٩٧) المرجع السابق، ج١، ص٢٣٠ وما بعدها.

(٩٨) محمد حجى، الحركة الفكرية بالمغرب، مرجع سابق ج١، ص١٢٠.

(٩٩) محمد بنعبد الله، ناظر الوقف وتعامله مع حركة التعليم الإسلامى، مرجع سابق، ص٢٦٩.

(١٠٠) محمد الأرناءوط، دور الوقف فى المجتمعات الإسلامية، مرجع سابق، ص٣٥.

(١٠١) عمر صالح بن عمر، دور الأوقاف الإسلامية فى حفظ المقاصد الشرعية، مجلة الشريعة والقانون، ع ٣٢، رمضان ١٤٢٨هـ/ أكتوبر ٢٠٠٧، ص٤٣٥.

(١٠٢) الزبير المهداد، جولة فى المدارس الأثرية بفاس، دعوة الحق، عدد ٣٦٣، يناير ٢٠٠٢، ص٥٧.

(١٠٣) إبراهيم غانم، دور الأوقاف فى خدمة الآثار والفنون الجميلة: دراسة منشورة بتاريخ ١٩٩٩/٩/٢٢على موقع Islam-online.net، باب حضارة وتاريخ، بتصرف، جرت زيارة الموقع فى ٢٠٠٥/٤/٧.

لمزيد من التوسع فى العمارة الإسلامية، يمكن الاطلاع على:
- شوقى شعث، العمارة الإسلامية بفلسطين فى العهد الأيوبى، مجلة التاريخ العربى، ع٢، الرباط، ربيع ١٤١٧-١٩٩٧، ص٣٥-٦١.
- محمد الباجى، أوجه من الحضور الأندلسى بمدينة تونس التأثيرات الثقافية والفنية والمعمارية، مجلة التاريخ العربى، ع٣، الرباط، صيف ١٤١٨-١٩٩٧، ص١٣٣-١٥٣.

المصادر والمراجع:

أولا- الكتب:

١- أحمد بن المقرى التلمسانى، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج١، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨.

٢- أحمد بن القاسم الخزرجى، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).

٣- أحمد بن يحيى الونشريسى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٤- أحمد شلبى، موسوعة الحضارة الإسلامية، التربية والتعليم فى الفكر الإسلامى، ط١١، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٩.

٥- أحمد أبو زيد، نظام الوقف الإسلامى: تطوير أساليب العمل وتحليل نتائج بعض الدراسات الحديثة، الرباط، منظمة الإيسيسكو، الأمانة العامة للأوقاف بالكويت ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٦- أحمد الحفناوى، جامعة القرويين فى المغرب (تاريخها التعليمى وعطاؤها الفكرى والسياسي)، ط١، القاهرة، (د.ن) ٢٠٠٠م.

٧- أحمد عوف عبد الرحمن، الأوقاف والحضارة الطبية الإسلامية، سلسلة قضايا إسلامية، عدد ١٣٦، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٨- إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف.

٩- جمال محمد الهنيدى، تربية علماء الطبيعيات والكونيات المسلمين فى القرون الخمسة الأولى من الهجرة، ط١، المنصورة، دار الوفاء، ٢٠٠٠.

١٠- الدسوقى محمد، الوقف ودوره فى تنمية المجتمع الإسلامى، سلسلة قضايا إسلامية، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القسم الأول، عدد ٦٤، سنة ٢٠٠٠،

١١- حامد عمار، فى التوظيف الاجتماعى للتعليم، ط٢، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٩٩٧.
١٢- ياقوت الحموى، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
١٣- ياقوت بن عبد الله الحموى، معجم البلدان، بيروت، دار الفكر.
١٤- يحيى محمود ساعاتى، الوقف وبنية المكتبة العربية، ط٢، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
١٥- محمد مرتضى الزبيدى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
١٦- محمد بن جبير، رحلة ابن جبير، تحقيق: محمد زيادة، بيروت، دار الكتاب اللبنانى.
١٧- محمد بن أبى بكر الرازى، مختار الصحاح، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، تحقيق: محمود خاطر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
١٨- محمد بن عبد الله اللواتى، رحلة ابن بطوطة، ط٤، تحقيق: على المنتصر الكتانى، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥.
١٩- مصطفى السباعى، من روائع حضارتنا، ط٢، القاهرة، دار السلام، ٢٠٠٥.
٢٠- محمد الخطيب، لمحات فى المكتبة والبحث والمصادر، ط٢، الرياض، (د.ن)، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
٢١- محمد حجى، الحركة الفكرية بالمغرب فى عهد السعديين، منشورات دار المغرب، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
٢٢- محمد بنعبد الله، الوقف فى الفكر الإسلامى، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
٢٣- محمد الأرناءوط، دور الوقف فى المجتمعات الإسلامية، ط١، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٠.

٢٤- ممدوح الصدفى، وآخرون، الدور التربوى والاجتماعى للمسجد، الرباط، إيسيسكو ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٢٥- محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر خلال العصر المملوكى، ط١، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٠.
٢٦- محمد عيسى، تاريخ التعليم فى الأندلس، ط١، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٨٢.
٢٧- محمد الحبيب التجكانى، الإحسان الإلزامى فى الإسلام وتطبيقاته فى المغرب، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
٢٨- نعمت عبد اللطيف مشهور، أثر الوقف فى تنمية المجتمع، القاهرة، مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى، جامعة الأزهر، ١٩٩٧.
٢٩- السعيد بوركبة، دور الوقف فى الحياة الثقافية بالمغرب فى عهد الدولة العلوية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٩٩٦.
٣٠- سعيد إسماعيل على، التعليم على أبواب القرن الحادى والعشرين، القاهرة، عالم الكتاب، ١٩٩٨.
٣١- السيد النشار، تاريخ المكتبات فى مصر: العصر المملوكى، ط١، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣.
٣٢- سليمان بن عبد الله، الوقف وأثره فى تنمية موارد الجامعات، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤ م.
٣٣- عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ط٥، بيروت، دار القلم، ١٩٨٤.
٣٤- أبو العباس أحمد الناصرى، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصرى، محمد الناصرى، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٣٥- فؤاد عبد الله العمر، إسهام الوقف فى العمل الأهلى والتنمية الاجتماعية، سلسلة الدراسات الفائزة فى مسابقة الكويت الدولية لأبحاث الوقف ١٩٩٩، ط١، الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
٣٦- صلاح الدين الصفدى، الوافى بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناءوط، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

ثانيا- الأبحاث:

٣٧- إبراهيم غاتم، دور الأوقاف فى خدمة الآثار والفنون الجميلة: دراسة منشورة فى ١٩٩٩/٩/٢٢ على موقع Islam-online.net باب حضارة وتاريخ، تاريخ زيارة الموقع: ٢٠٠٥/٤/٧.
٣٨- أحمد العامرى، المعلم فى التراث التربوى المغربى: مواصفاته، مؤهلاته، مسئولياته التربوية، دعوة الحق، عدد ٣٥٩، السنة الثانية والأربعون، ربيع الأول ١٤٢١هـ/ مايو ٢٠٠١م.
٣٩- بركات محمد مراد، الوقف فضيلة إسلامية وضرورة اجتماعية، البيان، عدد ٢٢٨، السنة ٢١، شعبان ١٤٢٧هـ/ سبتمبر ٢٠٠٦.
٤٠- الزبير مهداد، مؤسسات التعليم فى الحضارة العربية، دعوة الحق، عدد ٣٦٢، السنة الثانية والأربعون، شعبان ١٤٢٢هـ/ أكتوبر ٢٠٠١م، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية.
٤١- ـــــ، جولة فى المدارس الأثرية بفاس، دعوة الحق، عدد ٣٦٣، يناير ٢٠٠٢.
٤٢- حسن عبد الغنى أبوغدة، الوقف ودوره فى التنمية الثقافية والعلمية، مجلة الشريعة والقانون، عدد ٢٢، ذو القعدة ١٤٢٥هـ/ يناير ٢٠٠٥، كلية الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة.
٤٣- يوسف الكتانى، ظاهرة الكراسى العلمية، دعوة الحق، عدد ٢٤٤، جمادى الأولى ١٤٠٥هـ/ يناير ١٩٨٥م.

٤٤- محمد المنونى، مكتبة الزاوية الحمزية، مجلة للأبحاث المغربية الأندلسية، عدد ٨، ١٩٦٣.
٤٥- ـــــ، كراسى الأساتذة بجامعة القرويين، دعوة الحق، عدد ٤، السنة التاسعة، ١٩٦٦.
٤٦- مصطفى محمد رمضان، دور الأوقاف فى دعم الأزهر كمؤسسة علمية إسلامية، ندوة مؤسسة الأوقاف فى العالم العربى والإسلامى، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٤٧- محمد الحجوى، الجوامع والمدارس والزوايا التى ازدهرت بمال الوقف فى المغرب، أوقاف، عدد ٧، السنة الرابعة، شوال ١٤٢٥هـ/ نوفمبر ٢٠٠٤م.
٤٨- محمد أبو الأجفان، الوقف على المسجد فى المغرب والأندلس وأثره فى التنمية والتوزيع، دراسات فى الاقتصاد الإسلامى، بحوث مختارة من المؤتمر الدولى الثانى للاقتصاد الإسلامى، ط١، المركز العالمى لأبحاث الاقتصاد الإسلامى، جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٤٩- محمد بنعبد الله، ناظر الوقف وتعامله مع حركة التعليم الإسلامى، دعوة الحق، عدد ٢٦٩، سنة ١٩٨٨.
٥٠- محمد الدسوقى، دور الوقف فى تنمية العمل فى مجال الدعوة الإسلامية، الوعى الإسلامى، عدد ٤٠٢، صفر ١٤٢٠هـ/ يونيو ١٩٩٩.
٥١- محمد الباجى، أوجه من الحضور الأندلسى بمدينة تونس التأثيرات الثقافية والفنية والمعمارية، مجلة التاريخ العربى، ع٣، الرباط، صيف ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧.
٥٢- السعيد بوركبة، آثار الوقف فى الحياة المجتمعية بالمغرب عبر التاريخ، دعوة الحق، عدد ٢٨٤، ذو الحجة ١٤١١/ يوليو ١٩٩١.

٥٣- سحر عبد الرحمن مفتى، وقف العلماء والمدرسين فى المدينة المنورة، ندوة الوقف الإسلامى، جامعة الإمارات العربية المتحدة، كلية الشريعة والقانون ٦-٧ شعبان ١٤١٨هـ/ الموافق ٦-٧ ديسمبر ١٩٩٧م.
٥٤- عبد المالك أحمد السيد، الدور الاجتماعى للوقف، ندوة إدارة وتثمير ممتلكات الأوقاف، ط١، جدة، البنك الإسلامى للتنمية، المعهد الإسلامى للبحوث والتدريب، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
٥٥- عبد الهادى التازى، توظيف الوقف لخدمة السياسة الخارجية فى المغرب، ندوة الوقف فى العالم الإسلامى أداة سلطة اجتماعية وسياسية، دمشق، المعهد الفرنسى للدراسات العربية بدمشق، تقديم: راندى ديغيليم، ١٩٩٥.
٥٦- عبد الحميد محيى الدين، المؤسسات الثقافية الإسلامية فى جنوب المغرب بين ماضيها ومستقبلها، ندوة مستقبل العالم الإسلامى الثقافى من خلال واقعه المعاصر، مجلة جامعة القرويين، العدد الثامن، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
٥٧- عبد الله المعيلى، دور الوقف فى العملية التعليمية، ندوة مكانة الوقف وأثره فى الدعوة والتنمية، مكة المكرمة، ١٨-١٩ شوال ١٤٢٠هـ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
٥٨- على جمعة محمد، الوقف وأثره التنموى، ندوة نحو دور تنموى للوقف، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ١٩٩٣.
٥٩- عمر صالح بن عمر، دور الأوقاف الإسلامية فى حفظ المقاصد الشرعية، مجلة الشريعة والقانون، ع٣٢، رمضان ١٤٢٨هـ/ أكتوبر ٢٠٠٧م.
٦٠- صلاح حسين العبيدى، مؤسسة الأوقاف ودورها فى الحفاظ على الآثار الإسلامية والمخطوطات، ندوة مؤسسة الأوقاف فى العالم العربى والإسلامى.
٦١- شوقى شعث، العمارة الإسلامية بفلسطين فى العهد الأيوبى، مجلة التاريخ العربى، ع٢، الرباط، ربيع ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

ثالثا- المراجع الأجنبية:

62- R. DEGUILHEM, ABDEHAMID HANIA, Les Fondations Pieuses (waqf) en Méditerranée enjeux de société; enjeux de pouvoir, Kuwait Awqaf Public Fondation, Kuwait 2004.

63- A. GUESSOUM, Le rôle socio-économique du Waqf dans la société musulmane : historique et perspective, AWQAF, numéro expérimental, Novembre 2000.

64- J. LUCCIONI, Les Fondations Pieuses " Habous " au Maroc depuis les origines jusqu' à 1956, Imprimerie Royale - RABAT. 1982.

65- Waqf et développement, Publié le mercredi 4 juillet 2007. http://www.bismillah-debats.fr.st/article.php3?id_article=230, Le temps de visite: 4/1/2008.

معهد البحوث والدراسات العربية
معهد الدول العربية للتنمية الإدارية
جامعة الدول العربية